بلاد عيلام
في العصر العيلامي الوسيط
(1450-1100 ق.م)



د. فاروق اسماعيل
جامعة حلب - كلية الحقوق

يقصد بـ «بلاد عيلام» مناطق جنوب غربي إيران في العصور التاريخية القديمة. ولا سيما إقليم خوزستان السهلي المنخفض والمفصول عن جنوبي بلاد الرافدين بسلاسل جبلية غير عالية ومناطق مستنقعية (أهوار).

وقد امتدت في أوج توسعها من كرمنشاه في الشمال الغربي إلى طريق خراسان الكبير القادم من بغداد في الشمال. وتمثل سلسلة جبال زاغروس الحدود الشمالية الشرقية لبلاد عيلام. وفي الجنوب يشكل الساحل الشرقي للخليج العربي حدوداً لعيلام. في حين أن مرتفعات بختياري تشكل الحدود الشرقية لها. أما في الجهة الغربية فقد كانت الحدود أكثر تغيراً [1].

شهدت هذه البلاد خلال الألف الرابع ق.م ازدياداً واضحاً في عدد مراكز الاستيطان البشري وأحجامها. ونشأت فيها خلال الألف الثالث ق.م عدة مراكز سياسية متمايزة. هي سوسا[2] (شوش. شمال شرقي أهواز مركز إقليم خوزستان بنحو 100كم) وأنشان (تل مليان. نحو 45 كم شمالي مدينة شيراز) وأوان (في محيط مدينة ديزفول) وشيمشكي (في محيط مدينة خورّم آباد). وقد تصارعت فيما بينها أحياناً، وتحالفت أحياناً. وتبادلت مركز الصدارة في القوة والسيطرة. كما اتحدت لدى مواجهة الحملات العسكرية الموجهة إليها من مناطق بلاد الرافدين المجاورة [3].

إن تاريخها متداخل. ويعرف معاً باسم البلاد (عيلام). وقد توحدت في إطار مملكة عيلام الكبرى في مطلع الألف الثاني ق.م (نحو 1900 ق.م). ويصطلح الباحثون على تقسيم تاريخ البلاد حتى نهاية العصر العيلامي الوسيط. موضوع هذا البحث. على النحو التالي [4]:

أ- العصر العيلامي المبكر (نحو3300/3200 –1900ق.م)

وتمثل المرحلة الأولى منه (3300-2700ق.م) فجر التاريخ في إيران. وفي مطلع المرحلة الثانية منه (2700 ق.م) أبدعت أقدم كتابة إيرانية قديمة. يصطلح الباحثون على تسميتها بالكتابة العيلامية المبكرة (أ). وهي تصويرية على غرار كتابات أوروك وجمدت نصر الرافدية.

ب- العصر العيلامي القديم أو عصر الحكام الكبار (نحو 1900–1500 ق.م).

وهو يتميز بوفرة مصادره الأثرية المادية والكتابية المكتشفة، وتنوعها. كما إن ملوك هذا العصر بدؤوا يتوسعون في شمالي بلاد الرافدين. ولا سيما ملوك سلالة إبَرْت. وتميزت مدينة سوسا كمركز ملكي استمرت قوتها خلال المراحل التالية.

انتكست قوة المملكة في أواسط القرن 18 ق.م. وساءت الأوضاع الاقتصادية والإدارية في مناطقها. وأدى ذلك إلى ارتحال قبائل كَشّو (الكاشيين) من سفوح جبال زاغروس الوسطى (إقليم لورستان) نحو بلاد بابل. ثم استلام الحكم فيها بعد عقود قليلة من الزمن. ودام حكمهم فيها نحو أربعة قرون ونصف (نحو -1695 1157 ق.م).

ج- العصر العيلامي الوسيط (1450-1100 ق.م) يمكن تقسيم تاريخ هذا العصر إلى ثلاث مراحل، هي:

-1 مرحلة ما قبل قيام المملكة العيلامية الوسطى (1450-1320 ق.م):

ثمة غموض في تاريخ هذه المرحلة، بسبب قلة المعلومات عنها في المصادر الكتابة العيلامية والرافدية، ويستخلص منها أن إطار المملكة العيلامية القديمة تقلص إلى حد كبير، وتفرد حكام في مناطق الأطراف بالحكم في كيانات سياسية صغيرة. وتدل الشواهد الأثرية على انحسار التوسع العمراني في مدينة سوسا، وبروز أهمية مراكز استيطان جديدة.

نعرف من المصادر أسماء عدد قليل من ملوك هذه المرحلة . وأبرزهم تبتي أحر الذي يرتبط اسمه ببناء مدينة (كبنك) التي اكتشفت في موقع هفت تبه (نحو 15 كم جنوب شرقي شوش)، وذلك في أواسط القرن الرابع عشر ق.م. وقد عثر المنقبون فيها على أرشيف كتابي (نحو 600 رقيم) يتناول مسائل إدارية واقتصادية. ويقدم لمحات عن الوضع السياسي ويشير إلى تبادل الرسل مع القصر الملكي في دور كوريكالزو (تل عقرقوف، قرب بغداد) [5]. ولكن ذلك لم يدم طويلاً، إذ قام ملك عيلامي تال هو خوربا تيلا في نحو (1330 ق.م) بمهاجمة بابل، ولكن ملكها الكاشي كوريكالزو الثاني هزمه، بل طارده حتى العاصمة سوسا ودخلها واحتلها لفترة قصيرة.

-2 مرحلة حكم سلالة إيجي خلكي (-1320 1165 ق.م) [6]:

أقامت هذه السلالة مملكة عيلامية قوية، واستعادت مناطق عيلامية سابقة. ويتميز عهدها بوفرة المصادر التاريخية العيلامية والرافدية، مما يمكن من تتبع أحداث عهد سبعة ملوك حكموا نحو قرن ونصف القرن.

أقدم حكام السلالة المعروفين هو إيجي خلكي الذي اتخذ مدينة جديدة مقراً له تدعى أياخيتك شرقي سوسا باتجاه أصفهان، ولكن ابنه أتركيتاخ عاد للحكم في العاصمة التقليدية سوسا، نحو 1300 ق.م.

أما رابع ملوك السلالة فهو خومبان نومنا (نحو 1275 ق.م) الذي أقام معبداً متميزاً في موقع شبه جزيرة ليان، على ساحل الخليج (قرب مدينة بندر بوشهر)، أي على بعد نحو 400 كم عن سوسا، مما يدل على اتساع نطاق حكمه، واهتمامه بالمناطق الساحلية [7] .

وفي نحو 1260 تولى الحكم ابنه أُنتاش نابي ريشا الذي يعد من أبرز الملوك في تاريخ عيلام. وتبين وثائق عهده الوفيرة امتداد إطار السيادة العيلامية، وبروز قوتها العسكرية، وازدياد المشروعات العمرانية في سوسا ومراكز أخرى متفرقة. كما يتضح من المكتشفات الأثرية في جُغا بهن في سهل سوسا، جوت وَنّد شمالي مدينة شوشتر، تبه بورمي قرب مضيق هرمز [8]. ولكن أهم إنجازاته هو بناء مدينة آل (أي مدينة) أنتاش نابي ريشا التي سنتحدث عنها لاحقاً.

وكان آخر ملوك السلالة هو كيدين ختران (نحو 1224-1210 ق.م)، وقد استمر خلال عهده الازدهار الاقتصادي والتطور العسكري، كما استجد الصراع مع بلاد الرافدين التي كانت تشهد صراعاً داخلياً بين الشمال والجنوب (أشور وبابل)، وانخرط فيه الملك العيلامي.

فقد تميزت أشور في عهد ملكها توكولتي نينورتا الأول فتدخل في الشؤون البابلية، ونهب البلاد، وأجلى كثيراً من البابليين، ونقل تمثال الاله مردوك رمز السيادة الوطنية البابلية إلى آشور، وعين على حكمها ملكاً جديداً خاضعاً له.لم يرض الملك العيلامي الجديد بذلك، فوجه حملة ضخمة إلى مناطق بابل الشمالية، احتلت دير (تل عقر، قرب بدره) ونيبور (نفر، شمال شرقي الديوانية) وبلغت بابل، وخلعت الملك الموالي للآشوريين، وتم تعيين ملك كاشي فيها.

انتقم توكولتي نينورتا بعد سنتين (1221 ق.م) وأرغم الجيش العيلامي على الانسحاب إلى بلاده، وعين حليفاً له في بابل.

تنامى الصراع البابلي - الآشوري، ولذلك رحب البابليون بحملة عيلامية جديدة وتعاونوا معهم في إبعاد السيادة الآشورية واختيار ملك بابلي جديد، وذلك في 1225 ق.م، ثم شهدت الفترة التالية من هذه المرحلة اضطراباً في عيلام، وضعفت رويداً رويداً.

-3 مرحلة حكم سلالة شُترُك ناخونته (-1165 1100 ق.م) [9]:

نهضت في عيلام سلالة جديدة تسلمت الحكم، واستطاع مؤسسها شترك ناخونته توسيع مناطق نفوذه. واهتم بالعمران في العاصمة سوسا وغيرها، وتجدد الصراع مع آشور. كما قاد هجوماً ضخماً على شمالي بلاد بابل في 1157 ق.م ونهبها وجمع منها كميات ضخمة من الذهب والفضة، وأعمالاً فنية ضخمة متميزة (مثل نصب النصر لنرام سين . نصب قانون حمورابي ...) وعين ابنه على حكم بابل. ولكن الملك مات بعد قليل فانسحب ابنه من بابل لاستلام عرش ابيه.

كان الملك العيلامي الجديد كوتير ناخونته (1156-1150 ق.م) يمتلك خبرة سياسية وعسكرية. واهتم بتجديد معبد الإله إنشوشيناك في العاصمة سوسا. ثم قاد في 1145 ق.م حملة عسكرية ضخمة مدمرة إلى بابل، وسفك الدماء بلا رحمة. ولم يبال بقدسية المعابد . ونشر الخراب والنيران في كل مكان. وأسر ملكها وأجلى كثيراً من السكان إلى بلاده لاستخدامهم في أعمال خدمية. وأنهى السيادة الكاشية في بلاد بابل تماماً.

وقد ترك حدث الاحتلال العيلامي المدمر صداه في الأدب والموروث الشعبي البابلي، وظل اسم الملك العيلامي كوتير ناخونته رمزاً للشر والرعب والخطيئة. كما تبين نقوش عهد الملك التالي شيخاك إنشوشيناك استمرار الحملات العيلامية على شمالي بلاد الرافدين، ووصولها حتى مناطق بلاد آشور المركزية.

تسلم حكم عيلام في نحو 1120 ق.م خوتيلودوش إنشوشيناك أحد أبناء كوتير ناخونته. واهتم بالعمران في سوسا وأنشان وغيرهما. وعاصر حكم نبو كودوري أصر (نبوخذ نصر الأول) في بلاد بابل الذي كان ملكاً قوياً وقاد حملتين متميزتين في سنة 1110 إلى عيلام. وصل في الأولى إلى مناطقها الداخلية. ولكنه اضطر إلى الانسحاب بسبب تفشي الأمراض بين جنوده. ثم وصل في الثانية إلى ضفاف نهر أولاي (كارون) وطارد الجيش العيلامي حتى العاصمة سوسا. ونهبها. وأعاد منها تمثال الإله مردوك الذي كان قد نهبه كوتير ناخونته. ففرح البابليون لهذا الانتقام. وحظي نبو كودوري أصر بشهرة واسعة انعكست في الموروث الشعبي والملاحم التاريخية [10].

يبدو أن ذلك الحدث هز الكيان السياسي العيلامي، وقاده إلى الانهيار في أواخر القرن الثاني عشر ق.م . ولا نملك وثائق عيلامية أو رافدية تفيد في معرفة تاريخ بلاد عيلام بعد ذلك. حتى بدء العصر العيلامي الحديث (نحو 743-500 ق.م).

الآثار الحضارية الفنية :

كان العصر العيلامي الوسيط عصراً مليئاً بالأحداث والتطورات السياسية. وبرز فيه ملوك متميزون اهتموا بتنظيم الحياة الداخلية في المملكة وتحقيق الازدهار العام فيها. وأنعكس ذلك في كثرة الأعمال الحضارية الفنية المنجزة خلاله. ويمكن تلخيصها من خلال استعراض أهم الآثار المكتشفة في ثلاثة مواقع رئيسة. وهي:

-1 آثار مدينة سوسا:

ظلت سوسا عاصمة المملكة خلال هذا العصر. انحسر التوسع العمراني فيها خلال المرحلة الأولى. ثم عاد الاهتمام الزائد بها. بعد الاحتلال الكاشي القصير لها وبدء المرحلة الثانية من العصر في أواخر القرن الرابع عشر ق.م .



الشكل 1



الشكل 2

لقي القصر الملكي والمعابد، ولاسيما معبد الإله إنشوشيناك الرئيس عناية خاصة. وتمت أعمال التجديد والإضافة مراراً، ولذلك وجدت معظم الآثار الفنية المتميزة فيها.

تتسم آثار سوسا بالتطور الفني، وتعبر عن خبرة متقدمة في مجال تقنيات تشكيل المعادن. وتعكس الأعمال ذات الطابع الديني تصورات فكرية عميقة. وتلاحظ غلبة الاعتماد على معدن البرونز في تشكيل التماثيل وتصوير المشاهد الحربية والدينية.

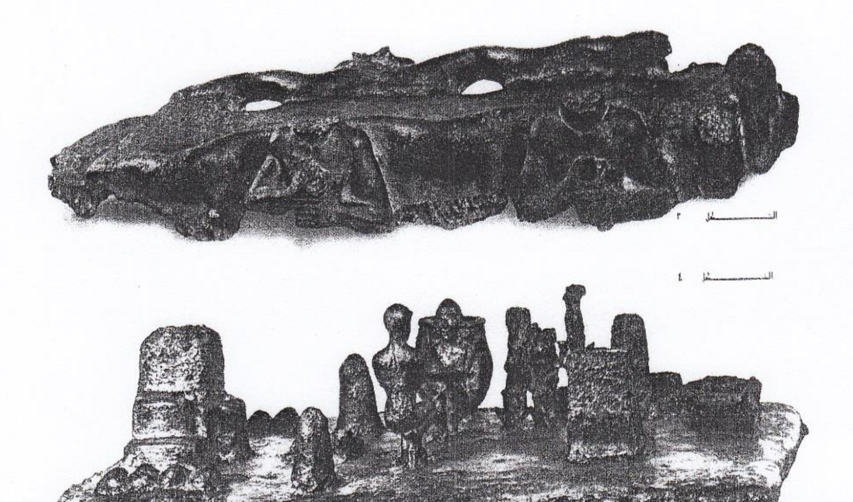
يعد من أجمل أعمال الفن العيلامي خلال هذا العصر تمثال نابي راسو زوجة الملك أنتاش نابي ريشا (الشكل 1). عثر عليه في معبد الإلهة الرافدية نين خورساج المقام في المنطقة المرتفعة (أكروبوليس) من مدينة سوسا. وهو محفوظ حالياً في متحف اللوفر بباريس. يبلغ ارتفاع القسم الباقي منه (الرأس مفقود) 129 سم، ووزنه 1750 كغ من البرونز. ويرجح أنه أنجز خلال عدة مراحل. إذ صنع أولاً الإطار الخارجي له بثخن 4 - 8 سم مع كثير من الزخارف والتفصيلات، ثم تم ملء الفراغ الداخلي للتمثال في عدة مراحل متتالية. وفي المرحلة الأخيرة أنجز تشكيل الشكل الخارجي للتمثال بإضافة مظاهر جمالية زخرفية وتدوين نقش كتابي.

تقف الملكة في حالة خشوع. تعقد كفيها على بطنها، وتلبس ثلاث أساور في كل معصم، وترتدي ثوباً طويلاً عُني بتزيينه بوساطة خطوط رقيقة مختلفة الاتجاهات. كما يبرز فيه اهتمام خاص بالحاشية السفلى من الثوب التي تغطي القدمين. وقد شكلت بشكل متعرج غير كامل ولافت للنظر. ويلاحظ في العمل الفني بشكل عام الحرص على الواقعية في تشكيل أعضاء الجسم وتحقيق التناسب بينها. ويمكن عد أسلوب الزخرفة وتشكيل الثوب المنسدل من الملامح الأسلوبية الفنية لهذا العصر. ويعود إلى أواسط القرن الثالث عشر ق. م [11].

وثمة عمل برونزي من القرن الثاني عشر ق.م (105 × 82 سم)، غير كامل، ومحفوظ في متحف اللوفر بباريس أيضاً. صور فيه مشهد حربي (الشكل 2) كان في الأصل مقسماً إلى قسمين، بقي منهما القسم السفلي الذي يظهر سبعة محاربين في حالة سير وفي مستوى واحد.

يحمل كل منهم رمحاً قصيراً صغيراً بيد، وسلاحاً آخر مرفوعاً إلى الأعلى باليد الأخرى، وكنانة مليئة بالسهام وهي مربوطة بالكتف بوساطة حزام. يرتدي المحاربون ثياباً بسيطة قصيرة مفتوحة في الأمام، ويشدون على خصورهم أحزمة عريضة. شعر الرأس مجدول في ضفيرتين رفيعتين تنسدلان بجوار اللحية ثم تنعطفان إلى خلف الظهر، حيث تنتهيان بطرّة ربما تجمع الضفيرتين معاً.

ونجد في الأسفل صور طيور وأشجار محزوزة بشكل بسيط، ويرجح أنها وضعت مكان نقش كتابي كان موجوداً فيه من قبل [12].



الشكل 3-4

كما استخدم البرونز في تشكيل لوحات ذات طابع ديني أيضاً. وأهم نماذجها عملان، هما:

-1 طاولة نذور مقدسة (الشكل3) عثر عليها في المنطقة المرتفعة من المدينة. وهي ذات حجم كبير (158 × 70.5 سم) وتؤرخ بالقرن الثالث عشر أو الثاني عشر ق.م. وهي محفوظة في متحف اللوفر بباريس.

كانت في الأصل مثبتة بجدار. وتسندها خمسة أشكال تمثل على الأرجح إلهات. تحمل كل منهن بيديها إناء عند الصدر، ويتدفق منه الماء إلى ثقوب في الداخل. وعلى جانبي الطاولة حية كبيرة [13].

-2 مشهد طقسي (الشكل 4) قياسه 60 × 40 سم. يعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني عشر ق.م. وهو محفوظ في متحف اللوفر أيضاً.

كان لدى اكتشافه مغطى بالجص. وفي هيئة قطعة آجر موضوعة ضمن جدار. وربما كان جزءاً من قنطرة مبنية فوق قبر. ويبدو أنه ذو صلة بشعائر دفن الحكام.

نجد في وسطه كاهناً عارياً يحمل شيئاً فوق يدي رجل عار آخر- لعله المتوفى - يمثل أمامه وخلفه إناء نذري ضخم. وتتوزع حولهما أشجار وصرح كبير (في اليسار) تتقدمه تلال صغيرة . ويبدو أن ذلك يرمز إلى أن الطقس الديني المتعلق بوداع المتوفى كان يؤدى في الخلاء. وليس ضمن معبد أو غيره.

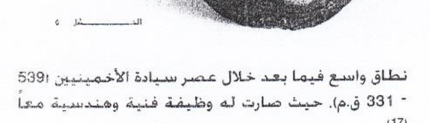
دونت على العمل عبارة باللغة الأكدية تذكر اسم الملك شليخاك إنشوشيناك، وكلمتا «صيت شمشي» أي: شروق الشمس [14].

وبرع العيلاميون خلال هذا العصر في تشكيل تماثيل من الطين المشوي. وخلط الألوان وطلي السطوح الخارجية لها. كما استخدموا تلك التماثيل في تزيين الواجهات الخارجية للمباني الرسمية والدينية.

فقد عثر في سوسا على مجموعة رؤوس بشرية مشكلة من الطين المشوي. نذكر منها رأس أنثى (الشكل 5) تم طلاؤه بالأبيض والرمادي. ارتفاعه 18 سم، وهو محفوظ في متحف طهران.

حالة التمثال السيئة أضاعت كثيراً من ملامحه. ولكن جاذبيته الجمالية ظلت كامنة في الوجه المكلثم و البسمة الهادئة المرتسمة على الشفتين الرقيقتين. والعينين الواسعتين. ويبدو أن تشكيل الشعر كان متميزاً. ويظهر ما تبقى منه شبهاً بشعر النساء العيلاميات المصورات في منحوتة للملك الأشوري آشور بانيبال (القرن السابع ق.م)[15].





الشكل ٥ — الشكل ٦

الشكل 5-6

وثمة رأس رجل ملون أيضاً (الشكل6) ارتفاعه 24 سم، محفوظ في متحف اللوفر بباريس، يتميز بالنموذج العيلامي الخاص في تمشيط الشعر إلى الأمام، له لحية قصيرة وشاربان كثيفان. ويلاحظ فيه أن العينين متميزتان، ولا تشبهان العيون البشرية [16].

ووظفت تماثيل طينية في تزيين الواجهات الخارجية للمعابد، كما في العمل المحفوظ في متحف اللوفر بباريس (الشكل 7) الذي يبلغ ارتفاعه 137 سم ويضم صورة كائنين مركبين (في الأعلى إنسان، وفي الأسفل ثور)، وهما ملتحيان يقف كل منهما بجانب نخلة يمد إليها يده اليمنى، وبينهما إلهة متعبدة ترتدي غطاء رأس لافت للنظر، ومتوج بقبعة في أعلاها شكل كروي.

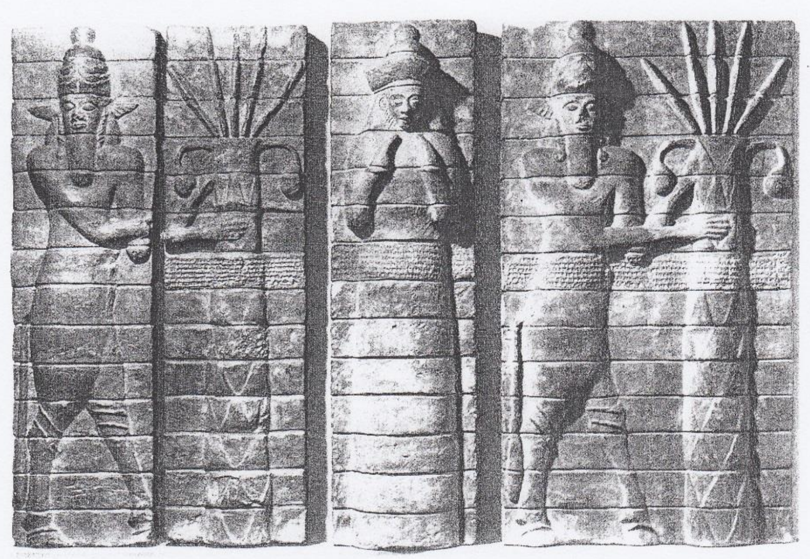
يعود تأريخ العمل الفني - حسب النقش الكتابي المدون عليه - إلى أواسط القرن الثاني عشر ق.م، وكان يزين في الأصل واجهة معبد إنشوشيناك الرئيس في سوسا. ويذكر المشهد المصور بمشاهد في واجهة القصر الملكي الكاشي في دور كوريكالزو، وفي واجهة المعبد الذي بناه الملك الكاشي كاراإنداش (أواخر القرن الخامس عشر ق.م) في مدينة أوروك. ويعد ذلك من شواهد الصلات الفنية بين العيلاميين والكاشيين. كما أن هذا الأسلوب شاع على نطاق واسع فيما بعد خلال عصر سيادة الأخمينيين 539 - 331 ق.م)، حيث صارت له وظيفة فنية وهندسية معاً [17].

ويتضح التأثر بالفن الرافدي في تشكيل أنصاب من الحجر الرملي، مقسمة إلى عدة حقول، يضم كل منها مشهداً فنياً، ومن أبرز نماذجها نصب الملك أنتاش نابي ريشا المحفوظ في متحف اللوفر بباريس (الشكل 8).

لم يكشف سوى عن أجزاء منه، بلغ ارتفاعه 262 سم وعرضه 78سم، كان في الأصل مقسماً إلى أربعة حقول، ضاع الأول (العلوي) منها، يظهر في الحقل الثاني جزء من صورة الملك أنتاش نابي ريشا وهو يتوسط امرأتين، يرجح أن اليسرى هي زوجته نابي راسو، وفي القسم الباقي من الحقل الثالث نرى إله الماء بثوبه الحرشفي وذيل سمكة بدلاً من القدمين، وهو يقبض بيديه على مجرى مائي يتدفق من أوانٍ من الأعلى إلى الأسفل، وبالعكس، ويلتوي على شكل حية.

وفي القسم الباقي من الحقل الرابع (السفلي) نرى أيضاً إله الماء، وله ذيل على شكل حية، وقرون، ويمسك أغصان شجرة، وعلى جانبي النصب تلتوي حية ضخمة مرعبة، تمتد من الأسفل إلى الأعلى [18].

وأخيراً نشير إلى أنه عثر ضمن مخزن في سوسا على



الشكل 7

قطع ذهبية كثيرة تعكس درجة عالية من التطور في مجال صياغة الذهب. ويظهر فيها التشابه مع أعمال كاشية. كما يتضح التأثير الكاشي والميتاني في فن النقش على الأختام الأسطوانية لدى العيلاميين. ويدل ذلك على أن بلاد عيلام لم تكن بعيدة عن التأثيرات الحضارية الرافدية خلال هذا العصر. ولاسيما تأثيرات الشعوب الجبلية التي استوطنت بلاد الرافدين [19].

2 - مدينة كبنك:

كشف في موقع هفت تبه، أي «التلال السبعة» على بعد نحو 15 كم جنوبي سوسا، عن مدينة كبنك التي بناها الملك تبتي أخر في نحو 1365 ق.م .

من أهم آثارها المكتشفة [20]:

-1 مصطبتان ترتفع كل منهما 14م. وتشغل مساحة 60 م2. وبنيت عليهما قاعات لممارسة أعمال حرفية. وصناعة أدوات من مواد نفيسة تلزم للشعائر الدينية.

-2 معبد مبني بآجرات متقاطعة. مساحته 60 × 60 م. وبقي من ارتفاعه لدى الكشف عنه 14م. ووجدت في داخل كل منهما عظام 23 جثة. وضع قسم منها بشكل منتظم . وجمع القسم الآخر في أكوام.

كانت كبنك مدينة دينية مخصصة لدفن الملك العيلامي تبتي أخر وأفراد أسرته ، ومزودة بما يلزم لإقامة شعائر الدفن. ويبدو أن معبد المدينة كان يقوم بدور إداري اقتصادي أيضاً. ويقيم فيه مجموعة من الكهان. فقد عثر فيه على نصب دون عليه نقش كتابي تضمن قائمة بالفروض المتوجبة على الكهان. والمواد المستهلكة لدى أداء الشعائر الدينية. كما كشف فيه عن أرشيف كتابي، سبق أن تحدثنا عنه.

كشفت التنقيبات في الموقع عن لقى أثرية متنوعة أبرزها تماثيل تمثل رؤوساً بشرية تغلب عليها النزعة الواقعية والحرص على إظهار المشاعر الداخلية.

وتشير الآثار المكتشفة في مشاغل الأعمال الحرفية إلى حملة مدمرة مفاجئة. إذ وجدت أدوات العمل والمواد الخام في حالة توحي باستخدامها عند حدوث الحملة. وعثر ضمن الأطلال على نقش للملك البابلي الكاشي كدشمان إنليل الأول (1374 - 1360 ق.م). ويعتقد الباحثون أن صلاته الدبلوماسية مع الملك العيلامي تبتي أخر ساءت. فغزا بلاد عيلام فجأة. ودمرت جيوشه مدينة كبنك.

3 - آل أنتاش نابي ريشا[21]:

كشف عنها الباحث الفرنسي de Mecquenem خلال تنقيبات 1936 - 1939م على بعد 40 كم جنوب شرقي سوسا، في موقع جغا زنبيل أي «ربوة / تل السلة » الذي عرف بهذا الاسم لأن شكل المبنى الديني الرئيسي (الزقورة) فيه كان يبدو - قبل بدء عمليات التنقيب الأثري فيه - بهيئة سلة قصب مائلة نحو الأسفل. ثم تابع التنقيب في الموقع بعد الحرب العالمية الثانية الفرنسي جرشمان R.Girshman .

دعي الاسم القديم للموقع في المراجع القديمة باسم دور أنتاش نابي ريشا أو دور أنتاش جال أحياناً. وهو في كل الأحوال يرتبط باسم باني المدينة الملك أنتاش نابي ريشا الذي حكم عيلام في أواسط القرن الثالث عشر ق.م. وأراد تقليد ملوك آخرين في الشرق القديم خلال العصر نفسه (مثل الملك المصري أخناتون، الملك الكاشي كوريكالزو الأول، الملك الآشوري توكولتي نينورتا الأول) بهجر العاصمة التقليدية للمملكة (سوسا) وبناء مدينة جديدة، سماها «مدينة أنتاش نابي ريشا».

اختير موقع المدينة (الشكل9) في حافة مرتفع منحدرة على بعد نحو 1.5كم عن نهر دز. وأمر الملك بشق قناة مائية طولها نحو 50كم تمتد من نهر كرخه شمالي سوسا، وذلك لضمان المياه اللازمة للمدينة. وتشير الكثافة العمرانية فيها إلى أن جهوداً بشرية ضخمة بذلت في أعمال البناء خلال عقود من الزمن. كما إن غلبة استخدام الآجر المشوي بكميات ضخمة تدل على أن ذلك تطلّب كميات كبيرة من الخشب لإحراق الآجر حيث نقلت من المناطق الجبلية التي تبعد قرابة 100 كم، ويرجح أن نقلها تم عبر مياه النهر.

إنها مدينة حصينة يغلب عليها الطابع الديني الشعائري (الشكل 10). تتألف من ثلاثة أسوار منيعة، يحيط الأول (الخارجي) بالمدينة كلها. ويحيط الأوسط بالمنطقة الدينية في وسط المدينة، وفيه ثلاث بوابات. أما الثالث ففيه سبع بوابات. ويحيط بالزقورة (المعبد العالي البرجي) التي تقود إلى أعلاها أربعة مدارج في وسط كل جانب. وهي مدارج ضيقة، مسقوفة في بعض أجزائها، ومن المحتمل أن استخدامها كان مقصوراً على الكهان.

تتجه زوايا الزقورة المخصصة للإلهين الزوجين إنشوشيناك ونابي ريشا نحو الجهات الرئيسة، بقي من ارتفاعها 28م ويرجح أنه كان في الأصل يبلغ نحو 44م . تبلغ مساحتها في منطقة القاعدة 67م2 ، وطول جدرانها 105م. وكانت مؤلفة من خمس طبقات (وربما ست طبقات)، بقيت منها آثار الطوابق الثلاثة السفلية. ويبدو أن عرض الأول هو ضعف الثاني الذي عثر فيه على



الشكل 8

كميات من بلاطات مزججة ملونة كانت تستخدم في تزيين الجدران. وتحيط بها ساحة كانت توفر المجال للتجمع فيها لدى إحياء الاحتفالات. وكذلك ممر مبلط بشكل متميز يدعوه الباحثون « شارع المواكب « وكان يتم فيه الطواف بالمعبد بشكل استعراضي.

تتوزع حول الزقورة عشرة معابد مخصصة لأبرز الآلهة العيلامية وآلهة أخرى رافدية الأصل (إنشوشيناك، نابي ريشا،كيري ريشا، نابراتب، بينيكير، خيشمي تيك وقرينته روخراتير، شيموت وقرينته نين آلي، أدد وقرينته شالا، نبو).

وهي معابد متشابهة في تصميمها المعماري، أضخمها وأغناها باللقى الأثرية معبد الإلهة كيري ريشا، بنيت جدرانها بالآجر العادي المجفف تحت أشعة الشمس، والآجر المشوي، وإضافة إلى آجر صلب شكّل من مزج قطع من النوعين السابقين.

وجدت معابد قائمة على مصاطب مرتفعة عن سطح الأرض في بلاد عيلام من قبل، ولكن ظهرت في آل أنتاش نابي ريشا لأول مرة محاولة تقليد الزقورات الرافدية، ولكن بعض الباحثين ينفون صفة «الزقورة» عنه، ويذهبون إلى

أنه مجرد مبنى ديني شعائري بني خلال عدة مراحل زمنية، فتتابعت الطبقات فيه.

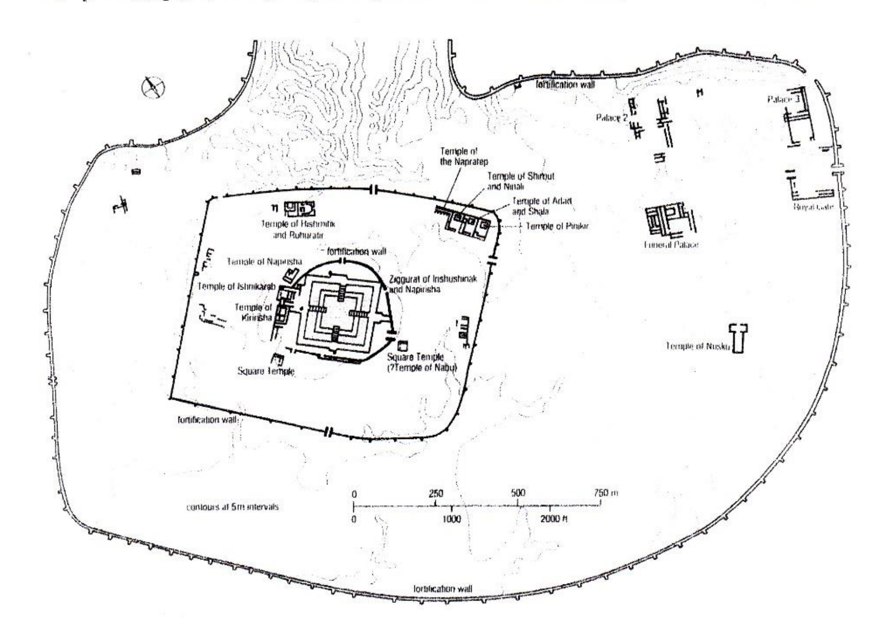
وكشف في الجزء الشرقي من المدينة عن البوابة الملكية الرئيسة، وبالقرب منها عن ثلاثة قصور ملكية، تتألف من قاعات ضيقة مجتمعة حول ساحة بشكل يذكر بالقصر الكاشي في دور كوريكالزو. و وجد في أحدها سراديب تحت الأرض عثر فيها على رماد عظام بشرية محترقة مع أسلحة وثياب وحلي بجانب قبور، ولذلك يعتقد أنه كان مدفناً لأفراد الأسرة الحاكمة. ويستخلص من عملية إحراق الموتى قبل الدفن وجود تأثيرات حضارية هندو آرية، انتقلت إلى المنطقة من شمالي إيران. كما كشف في المنطقة نفسها عن معبد مكشوف للإله نوسكو إله النار في بلاد الرافدين.

عثر في أجزاء المدينة على قطع أثرية مختلفة (دمى طينية، أدوات عسكرية، تمائم، كرات طينية، أشياء نذرية وتذكارية، تماثيل، أختام أسطوانية). نذكر من أبرزها تمثالاً يعكس مستوى تطور فن النحت والزخرفة (الشكل 11)، وكان قد عثر عليه في معبد الإلهة بينيكير، وهو موجود حالياً في متحف اللوفر بباريس. ويعود إلى القرن الثالث عشر ق.م.

إنه مصنوع من مواد متكلسة (الفريت) بارتفاع 10سم، ويمثل أنثى - لم يعثر على رأسها - في هيئة العبادة، ترتدي ثوباً منسدلاً حتى سطح الأرض زخرف بدوائر مضغوطة موزعة عليه، وبتزيين خاص في حافته الجانبية ضمن إطار عريض صنع من معدن مختلف، يمتد من تحت اليدين حتى أسفل القدمين. كما زخرفت الحافة السفلية بخطوط مثلثية كبيرة. وهو يعبر بشكل عام، ولاسيما بوجود ثلاث أساور في كل معصم، عن الغنى والأناقة[22].

وعثر في معبد الإلهة كيري ريشا على فأس نذرية مصنوعة من الفضة (الشكل 12) محفوظة في متحف اللوفر بباريس. عليها نقش كتابي قصير بالعيلامية يذكر اسم الملك أنتاش نابي ريشا، وينتهي طرفها برأس أسد صغير مبسط، ويعكس أسلوبها الفني صلات مع الأشكال الفنية في إقليم لورستان[23].

كما دون اسم الملك نفسه على مئات من الأطباق التذكارية المصنوعة من الفخار المزجج، وجدت في غرفة



ضمن الزقورة وكانت معدّة لتوضع في واجهة الزخرفة كعنصر زخرفي جمالي وهو تقليد رافدي الأصل تعود جذوره إلى عصر أوروك.

يلاحظ من آثار المدينة أن العمران توقف فيها بعد عهد أنتاش نابي ريشا، إذ عاد عرش الحكم إلى سوسا. ولكن المدينة لم تهجر، بل ظلت مدينة ملكية مهمة حتى دمارها في نحو 640 ق.م بأيدي جيوش الملك الآشوري آشور بانيبال.




الشكل 11

الحواشي

1- السعدون، نصار سليمان: عيلام في الألف الثالث ق.م مجلة مهد الحضارات العدد 8-9 ص7.

2- الصيغة الأصلية القديمة للاسم هو شوشـ(ـيم) أي تطابق الصيغة الحالية. ولكنه يذكر في المراجع الأجنبية بصيغة سوسا المأخوذة من الصيغة التوراتية للاسم (سوزا). ولذلك شاع في الدراسات العربية أيضاً بالصيغ:سوسا، سوزا، سوسه.

-3 Hinz , w. : Das Reich Elam . p. 57 ff .

-4 Carter, E - M.W . Stolper: Elam . p.5ff

-5 Ibid. p . 34, Roaf, M. Cultural Atlas.... p . 142

-6 Ibid. p. 36 ff. Klenge, H (Ed): Kulturgeschichte des alten Vorderasie, p .331 ff .

-7Brentjes, B :Die iranische welt vor Mohammed. p. 35.

-8 Carter, E - M.W. Stolper : Elam .p .37.

-9 Ibid. p. 39 ff .

10- جبور، باسم ميخائيل: الملاحم التاريخية في الأدب الأكادي، ص 140 وما بعدها.

-11 Klengel, H. (Ed.) Ibid . p. 331 f .

Orthmann ,w (Ed.) :Der alte Orient . p. 89, Abb. 289 Roaf ,M : Cultural Atlas . . . . . p . 143.

-12 Orthmann ,w (Ed) Ibid. Abb. 293

-13Ibid . Abb. 292a

-14Ibid. Abb. 292b

-15Ibid . Abb. 294 a

-16Ibid . Abb. 294 b

-17Ibid . Abb. 295

-18Ibid . Abb. 290

-19Ibid . p .89

-20klengel . H (Ed) Ibid .p. 327, Roaf, M. Cultural Atlas . p. 142 .

-21Roaf, M: Cultural Atlas . p.143 f :

-22Orthmann, w (Ed.) Ibid . Abb . 288

-23Ibid . Abb .301 C

المراجع

1- جبور، باسم ميخائيل: الملاحم التاريخية في الأدب الاكادي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة حلب 2004.

2- السعدون، نصار سليمان: عيلام في الألف الثالث ق. م، مجلة مهد الحضارات، العدد 8-9، دمشق 2009.

3- Brentjes, B: Die iranische Welt vor Mohammed Koehler& Amelang. Leipzig, 1967.

4-Carter, E. M.W. Stolper :Elam. Surveys of political History and Archaeology.Uni . of California Press, 1984 .

5-Hinz, w: Das Reich Elam.W. Kohlhammer Verlag, Stuttgart, 1964 .

6-Klengel, H.(Ed) :Kulturgeschichte des alten Vorderasien. Akademie - Verlag. Berlin, 1989 .

7-Orthmann, w. (Ed) : Der alte Orient. Propylaen Verlag, Berlin, 1985.

8- Roaf, M: Cultural Atlas of Mesopotamia and the Ancient Near East.

. Facts on File, New York, Oxford,1990.